

خطبة الجمعة

التي القاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيداه الله تعالى بنصره والعزیز

المخليفة الخامس للمرحوم والامام المهدي عليه السلام

يوم ۲۰۰۹/۰۷/۱۷

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ *
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

إكرام الضيف خلُقَ ذِكْرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَيْضًا، وَلَا سِيْمَا فِي سِيَاقِ
ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ إِكْرَامِهِ لِضَيْفِهِ بِشَكْلِ
خَاصٍ فِي مَوْضِعَيْنِ. فَأُولَ مَا ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذَا الصَّدَدِ هُوَ أَنَّ
الضَيْفَ سَلَّمُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ سَلَامٌ. وَالْمَعْنَى الظَّاهِرُ لِذَلِكَ هُوَ
أَنَّ الضَيْفَ قَدَّمُوا لَهُ تَحِيَّةَ السَّلَامِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّلَامِ، وَلَكِنْ صَاحِبُ
الْمَفْرَدَاتِ - وَهُوَ قَامُوسٌ مَعْرُوفٌ - وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَاجِمِ الْأُخْرَى قَدْ
بَيَّنَّوْا الْفَرْقَ بَيْنَ كِلْتَا التَّحِيَّتَيْنِ، فَقَالُوا إِنَّ الضَيْفَ قَالُوا ﴿سَلَامًا﴾، أَمَا

إبراهيم عليه السلام فقال لهم ﴿سلام﴾، "وإنما رُفِعَ الثاني لأن الرفعَ في باب الدعاء أبلغ، فكأنه تحرّى في باب الأدب المأمور به في قوله ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾"، فبقوله ﴿سلام﴾ مرفوعاً أراد لهم سلاماً دائماً.

وهكذا فقد تجلّى فوراً سمو أخلاق نبي الله هذا وتحيته على الضيوف الأجانب الذين لم يكونوا يعرفونه. وبهذا المثال قد علّمنا -نحن أفراد أمة النبي صلى الله عليه وسلم- أنه يجب أن تكون معايير حفاوتنا بالضيوف وإلقاء التحية عليهم تابعة لقول الله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ (النساء: ٨٧).. أي ينبغي أن يكون دعاؤكم أفضل من الدعاء الذي تتلقونه من الطرف الآخر بحيث ينبغي أن يشعر الضيف أن صاحب البيت قد سُرَّ بمجيئه.

والأمر الثاني الملاحظ في قصة إبراهيم عليه السلام هو أنه ما لبث أن قام بإكرام الضيف كما ورد في القرآن الكريم ﴿فَرَأَى إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (الذاريات: ٢٧)، وقد ورد في مكان آخر ﴿بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ (هود: ٧٠).. أي بعجلٍ مشوي. فالإسراع في إكرام الضيف بتقديم الضيافة له ضمن نطاق الوسائل المتاحة أمرٌ مستحب عند الله تعالى، ولهذا جاء ذكره في محل مدح إبراهيم عليه السلام مع أن الآيات السابقة لهذا الذكر والتالية له لا تتحدث عن إكرام الضيف مباشرة، إذ جاء هؤلاء

القوم حاملين رسالة نزول العذاب على قوم لوط عليه السلام لانغماسهم في السيئات، فتوقفوا في الطريق عند إبراهيم عليه السلام وأخبروه بموعد نزول العذاب على قوم لوط عليه السلام، كما بشروه أيضا بالذرية. وإنما ذكر إكرامه لضيوفه هنا لكونه خلقاً سامياً. كان الضيوف أجنب ولم تسبق لهم أية معرفة بإبراهيم عليه السلام، ولكنهم كانوا مسافرين في تلك البرية، فشعر إبراهيم عليه السلام أنهم جياع وبحاجة إلى الطعام، فسارع إلى ضيافتهم دون أن يسألهم ما إذا كانوا بحاجة إلى الطعام أم لا، أو يشعرون بالجوع أم لا. إذن فهذا الوصف مستحب إلى الله تعالى، كما أنه من مزايا الإسلام.

كان رسول الله ﷺ حتى قبل بعثته يتحلى بهذا الخلق بحيث كانت الضيافة من صفاته المتميزة. كان العرب مشهورين بضيافتهم وكرمهم، ولا يزالون مضيافين، أما رسول الله ﷺ فكان لضيافته شأن عظيم. فلما نزل عليه أول وحي رجع رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

(البخاري، كتاب بدء الوحي)

أي كيف يمكن أن يُخزي الله صاحبَ هذه الصفات النبيلة والأخلاق السامية؟! فذكرها قرى الضيف بصفة خاصة ضمن خصاله ﷺ الحميدة الأخرى يشكّل شهادة حتمية على أنه قد بلغ في إكرام الضيف درجة رفيعة امتاز بها عن الآخرين. أما بعد إعلان النبوة فقد بلغ النبي ﷺ الذروة في إكرام الضيف بحيث لا يوجد له نظير. وحين نلاحظ أسوته الحسنة في هذا الخصوص نجد أنه ﷺ لم يكتف بإلقاء التحية فقط، بل نجد في حياته المباركة أحداثاً تؤكد أنه قد بلغ في إكرام الضيف قمة الأخلاق، بالإضافة إلى تأمين الطعام للضيوف واستقبالهم بحفاوة بالغة. سأقدم لكم الآن أمثلة من أسوة النبي ﷺ الحسنة تبين بجلاء أن إكرامه الضيف لم يقتصر على توفير الطعام والشراب له، بل كان ﷺ يراعي مشاعر الضيف اللطيفة ويهتمّ بأبسط حاجاته أيضاً، حيث كان يضحى براحته من ليوفر له الطعام وأفضل أنواع الراحة، وكان يخدمه بيده هو. وهكذا أوصى أتباعه أيضاً بلسان حاله: ها هي النماذج السامية سجلتها لكم، وهذه هي أسوتي المنسجمة مع التعليم الذي أنزله الله ﷻ عليّ، فإذا كنتم مني فتأسوا بأسوتي، وإذا كنتم تدعون حيي فاتبعوني إن كنتم صادقين في دعوى الحب. هذا الإكرام للضيف وخدمته يجب أن يكون دونما تكلف ودون أدنى طمع في المكافأة والجزاء والمديح، ويجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى الذي أمرنا بذلك.

يجب أن يكون الفوز برضوان الله ﷺ نصب أعيننا وهدفنا الأول. فقد ورد في حديث عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمَ وَلِيْلَةٍ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ (البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه).

فإكرام الضيف من أسمى الأخلاق، وسيجزي الله عليه في الآخرة، حيث قال ﷺ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾. غير أن هذه الحسنة إذا قام بها المرء ابتغاء مرضاة الله وعن طيب خاطر فهي تجلب له رضا الله ﷻ وتقوي إيمانه. لا شك أن النبي ﷺ كان يهتم بالضيف بدافع إكرامه، ولكنه ﷺ بالإضافة إلى ذلك كان يكرمه ليجعله - إذا كان من أتباع ديانة أخرى - يتأثر بسمو أخلاقه ﷺ فيفكر أن هذا الإكرام للضيف نتيجة للتعليم الذي أوتيّه من عند الله ويدعو الناس إليه، وبالتالي يتوجه الضيف إلى دين الله. والحق أن هذا ما كان يحدث على أرض الواقع دائما. فكان النبي ﷺ يكرم الضيف لكي ينتبه إلى دين الله، فتنحسّن دنياه وعقباه معًا. كان ﷺ لا يرى الكفاية في تأمين الطعام المادي للضيف فقط لكي يشبع ويزول جوعه، بل كان يريد توفير الطعام الروحي له أيضا لكي تنحسّن حياته الآخرة، وهذا ما علّمه أتباعه حيث أوصاهم أن يبتغوا مرضاة الله ﷻ بكل عمل لهم، ففي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

صَلَّى ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ، حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ. ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَمِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ." (مسلم، كتاب الأشربة باب الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ)

فترون كم تأثر هذا الضيف بأسوة النبي ﷺ وحسن معاملته حيث قدم ﷺ له كل ما كان يريد من طعام وحليب دون استياء أو شكوى أو أدنى إشارة منه ﷺ بالمن وما شابه ذلك، فأسلم في اليوم الثاني. لم يقل له النبي ﷺ شيئاً قبل اعتناقه الإسلام كما لم يقل له حتى بعد إسلامه، ولم يُشِرْ عليه أن لا يشبع تماماً، بل هياً له الطعام الكافي لأنه ضيف عليه، وقدّم له الطعام حسبما لاحظ منه في الليلة الماضية، لكن الضيف بنفسه امتنع عن تناوله كله، وعندها قال له النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ"، فبعد أن أسلم الرجل أشعره النبي ﷺ بمكانته كمؤمن، مبيّناً له أن غاية حياة الإنسان ليست الأكل والشرب وإنما هي الفوزُ برضوان الله ﷻ.

وعندما عاد المهاجرون من الحبشة إلى وطنهم كان يرافقهم وفد من النجاشي ملك الحبشة، فقدّم النبي ﷺ لهم الضيافة وخدمهم بيده.

عن أبي أمامة قال: قَدِمَ وفد النجاشي على النبي ﷺ، فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك، فقال، وما أروعَه من ردِّ يدل على أسمى قيمٍ لإكرام الضيف كما يتضمن إكرامًا عظيمًا لصحابته المظلومين المضطهدين، وهو نموذج مثالي محتوي آية ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾: "إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحبُّ أن أكافئهم." (دلائل النبوة للبيهقي، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة)

لعل أعضاء وفد النجاشي ذهلوا عندما لاقوا من النبي ﷺ هذا الإكرام العظيم، ولعلهم كانوا يتساءلون: ما أعظمه من ملكٍ يقوم بنفسه بإكرام ضيوفه البسطاء العاديين، ويضع بذلك معايير سامية عجيبة لشرف الإنسانية لم تكن معروفة من قبل.

وهناك مثال آخر لكرم النبي ﷺ. حلَّ عليه ﷺ يهودي ضيفًا، فبرز في الفراش ليلاً بسبب مرضه في البطن، وعند الصباح هرب متخفياً، فبدأ النبي ﷺ يغسل بنفسه الفراش دون أن يطلب ذلك من أحدٍ آخر. وتذكَّر اليهودي في الطريق حاجة نسيها عند النبي ﷺ، فرجع ورأى النبيَّ يغسل سريره الوسخ، فندم.

ذكر المسيح الموعود ﷺ حديثاً مماثلاً للنبي ﷺ عن مسيحي، ولا نعرف ما إذا كان هو الرجل نفسه أم شخصاً غيره. على أية حال، قد ذكر المسيح الموعود ﷺ بعد سرد هذه الواقعة أن هذا الضيف أسلمَ لما

رأى النبي ﷺ يغسل فراشه الوسخ. ولا جرم أن ذلك يدل على ذروة تواضع النبي ﷺ.

ثمة رواية أخرى تفصح عن الثورة الروحانية العظيمة الحاصلة في صحابة النبي ﷺ ببركة قوته القدسية؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نساءه، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا. فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرَمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتٌ صَبْيَانِي. فَقَالَ: هَيْبِي طَعَامَكَ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكَ، وَتَوَمِّي صَبْيَانِكَ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّأتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَتَوَمَّتْ صَبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانَهُ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيئِينَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البخاري، كتاب المناقب)

وكان هناك مجموعة من الضيوف يزدحمون عند باب النبي ﷺ حتى لا يفوتهم حديث يتكلم به. وإنه لمنته هؤلاء القوم علينا نحن الأمة الإسلامية إذ نقلوا إلينا أحاديث الرسول ﷺ وهم يعيشون في مثل هذه الظروف الصعبة.

هناك رواية طويلة عن مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ هَذَا الْيَمَانِيَّ، يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ، أَهُوَ أَعْلَمُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ؟ نَسَمِعُ مِنْهُ مَا لَا نَسَمِعُ مِنْكُمْ... فقال: لَا أَشْكُ إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ نَسَمِعْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مِسْكِينًا لَا شَيْءَ لَهُ صَيِّفًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَدُهُ مَعَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكُنَّا نَحْنُ أَهْلُ يُبُوتَاتٍ وَغَنَى، وَكُنَّا نَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرْفَى التَّهَارِ.

(الترمذي، أبواب المناقب)

كانت هذه طريقة حياة أولئك الصحابة الذين نقلوا إلينا الأحاديث النبوية. يجب ألا يظن أحد بأنهم كانوا يريدون أن يظلوا عاطلين عن العمل، فيجلسوا عند باب النبي ﷺ ليأكلوا ويشربوا ويستمعوا إلى أحاديثه. كلا، بل قد أتى عليهم زمان أصيبوا فيه بالفاقة، ليس لأن النبي ﷺ لم يسألهم عن الطعام، بل كانت حالة بيت النبي ﷺ مشابهة لحالتهم أيضا، حيث تذكر الرواية السابقة أن النبي ﷺ سأل أهله عن الطعام فكان الرد أنه ليس معهم سوى الماء. وكانت تمر أيام دون أن توقد نار في بيت النبي ﷺ. وبهذا الخصوص هناك رواية ممتعة لأبي هريرة رَوَى عَنْهُ يَقُولُ: أَللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ،

فَتَبَسَّمَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ. قُلْتُ
 صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ أَقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرَبْتُ، فَقَالَ اشْرَبْ،
 فَشَرَبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ
 لَهُ مَسْلُكًا. قَالَ فَأَرِنِي، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ
 الْفَضْلَةَ. (البخاري، كتاب الرقاق)

كان النبي ﷺ يعتبر أصحاب الصفة ضيوفا لذلك سقاهم أولاً.
 ثم حين بدأت الوفود من الخارج تتوافد بعد فتح مكة أكرمهم النبي
 ﷺ دائما. كان بلال يدير أموره المالية، فكان ﷺ يأمره بأن يعتني
 بالقوم جيدا ويدبر لهم الهدايا أيضا. مرة جاء النبي ﷺ وفد من البحرين
 من قبيلة ربيعة التي كانت تنتسب إلى بعض أجداده ﷺ، كانوا قد هاجروا
 إلى البحرين قبل زمن طويل نتيجة الحروب الدائرة بينهم، فسُرَّ النبي ﷺ
 بمقدمهم كثيرا واستقبلهم ﷺ بحفاوة بالغة حيث التقى أولاد الأخوين من
 جديد، وأجلس زعيمهم قريبا منه وعامله بلطف وإحسان بالغين، وأمر
 الأنصار أن يحسنوا ضيافتهم إذ جاءوا بعد أن اعتنقوا الإسلام بأنفسهم.
 ولما حضر أعضاء الوفد في اليوم التالي سأهم النبي ﷺ: هل أحسن
 إخوانكم ضيافتكم؟ قالوا: كانوا نعم الإخوة، فقد قدّموا لنا أطيب
 الأطعمة وأجود الفُرش، وفي الصباح قرأوا علينا القرآن والأحاديث.

هذه هي أسوة الصحابة رضي الله عنهم. ولقد ضرب الأنصار أمثلة رائعة للأخوة مع المهاجرين حين هاجروا من مكة، لأن قوة النبي صلى الله عليه وسلم القدسية زادت خلق الكرم فيهم جلاءً. وفي رواية عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. (ابن ماجه، كتاب الأدب باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)

لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر باحترام الزعماء وتكريمهم، ولكنه، كما قلت من قبل، كان يكرم كل ضيف سواء كان مسلماً أو غير مسلم، وهذا ما أمر به أتباعه المسلمين أيضاً. وفي إحدى المرات جاء النبي صلى الله عليه وسلم أناس من قبيلة مضر في حالة مزرية حفاة عراة متقلدي السيوف، فأصاب النبي صلى الله عليه وسلم قلقٌ شديد برؤية حالتهم البائسة، فجمع أهل المدينة على الفور وأمرهم بتوفير الطعام واللباس لهم، ولم يهدأ روعه ما لم يتأكد أن الأمور كلها أصبحت على ما يرام. ويقول الراوي: عندما تمت الأمور كلها سرَّ النبي صلى الله عليه وسلم سروراً بالغاً حتى أخذ وجهه يلمع كما تلمع سبيكة العقيان.

ونجد الحال نفسها في هذا العصر حين نرى المسيح الموعود عليه السلام الخادم الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم. فقد ورد في تقرير نُشر في جريدة "بدر" عدد ٤ يوليو/تموز ١٩٠٤ ما يلي:

"كان المسيح الموعود عليه السلام في سفر إلى مدينة غورداسبور، فكان عليه السلام يهتم بحاجات الإخوة الذين كانوا يأتون لزيارته."

ثم يقول الراوي: "إن حجة الله، سيدنا المسيح الموعود عليه السلام نموذج سامٍ وحيٍّ لإكرام الضيف مثلما كان النبي صلى الله عليه وسلم. ويعرف الذين حظوا بصحبته بكثرة أنه يصاب بقلق شديد لأدنى معاناة يتعرض لها ضيفه، سواء كان من الأحمديين أو غيرهم. أما بالنسبة لأبناء الجماعة المخلصين فإن حضرته يجد في طبيعته حماساً ولطفاً أكثر وأشد من ذلك. وللتأكيد على ذلك نكتب فيما يلي حادثاً وهو أن السيد "ميان هدايت الله" - الشاعر الأحمدي من لاهور الفنجاب، والمحِب المخلص لحضرته عليه السلام - كان مقيماً في مدينة غورداسبور منذ بضعة أيام، فاستأذن حضرته للمغادرة اليوم، فقال عليه السلام: ماذا ستنتفع من الرحيل؟ امكث هنا وسوف نسافر معاً، وفي بقائك هنا بركة، أما إذا كنت تشكو من شيء فأخبرني بصراحة وسأدير الأمر بنفسي. ثم قال عليه السلام مخاطباً الجماعة بشكل عام: يأتي هنا ضيوف كثر، ومن الممكن ألا يعرف المسؤولون بحاجة بعض منهم، لذا فعلى كل واحد منهم أن يخبر المسؤولين دون أدنى تكلف إذا كان بحاجة إلى شيء. أما إذا أخفى أحد حاجته في نفسه قصداً فهو مخطئ. إن مبدأ جماعتنا هو عدم التكلف." ثم كلّف حضرته السيد محمد سرور شاه بوجه خاص أن يهتم بكافة حاجات "ميان هدايت الله" المشار إليه آنفاً.

ويمكن تقدير مدى اهتمام حضرته عليه السلام بالضيوف من كلامه المذكور أدناه الذي يدل على أنه كان يخرج لملاقاة الزوار غير مبالٍ بمعاناته هو. فذات مرة قال حضرته عليه السلام مخاطبا السيد حبيب الله شاه: "كنت عليلاً ولم أكن قادراً على الخروج من البيت، ولكن حين علمتُ بمقدمك قلتُ في نفسي: إن للضيف - الذي جاء متكبداً العناء - حقاً، فجئتُ لأقابلك.

ومرة قال حضرته عليه السلام مخاطبا المنشي عبد الحق: "أنت ضيفنا، والضيف لا يجد الراحة إلا إذا كان بعيداً عن التكلف والشكليات، فكلمنا احتجتَ إلى شيء فأخبرني دون أدنى تكلف. ثم قال مخاطبا الآخرين: اعلّموا أنه ضيفنا، وعليكم جميعاً أن تعاملوه بحسن الخلق، وتسعوا لكيلا يتعرض للمعاناة بأي شكل. وبعدها دخل حضرته بيته." (الملفوظات ج ٢ ص ٨٠ طبعة ربوة)

وقال في مناسبة أخرى: "إن قلب الضيف كزجاجة تنكسر حتى بضربة خفيفة، فعليكم أن تنتبهوا إلى ذلك جيداً." وقال أيضاً: "إذا جاء ضيف ولجأ حتى إلى السباب والشتائم فما عليكم إلا أن تظلوا صامتين إزاءه."

وقال مرة: "أوصوا المسؤول عن دار الضيافة أن يهتم بجوانح كل شخص، ولكنه وحيد والعملُ كثير، فقد ينسى هذا الأمر أحياناً فليذكره

الآخرون. يجب ألا تتهاونوا في خدمة أحد بسبب ثيابه الوسخة، لأن الضيوف كلهم سواسية، ومن واجبنا أن نهتم بكافة حاجات الإخوة الجدد الذين ليس لديهم معلومات كافية، فقد لا يعلم البعض مكان بيت الخلاء، فيعاني كثيرا، لذا فالاهتمام بحاجات الضيوف ضروري جدا. أنا معتلّ الصحة في معظم الأحيان، فلا أستطيع القيام بما يجب، فيجب على الذين كلّفناهم بهذه الأمور نيابةً عنا ألا يتركوا للضيوف مجالاً للشكوى." (جريدة "بدر" العدد ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٠٤)

هذا يعني أن حضرته عليه السلام كان يهتم حتى بأبسط حاجات الضيوف. لقد أورد حضرة مرزا بشير أحمد رحمته الله في كتاب "سيرة المهدي" رواية للمولوي عبد الله السنوري جاء فيها:

"كان حضرته عليه السلام مستلقيا في بيت الفكر (وهي حجرة من بيته عليه السلام ملتصقة بالمسجد المبارك)، وكنت أدلُّكُ قدميه، فطرقَ "لاله شرمبت الهندوسي" أو "ملاوامل الهندوسي" الباب، فهمتُ بالنهوض لفتح الباب، ولكن حضرته هبَّ بسرعة كبيرة وفتح سلسلة الباب قبلي، ثم عاد وجلس في مكانه، ثم قال: أنتَ ضيفنا، ولقد أمر النبي صلى الله عليه وآله بإكرام الضيف." (سيرة المسيح الموعود عليه السلام للشيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله، ج ١ ص ١٦٠)

ويقول حضرة المولوي عبد الكريم رحمته الله:

"يعود هذا الكلام إلى أربع سنوات تقريبا وكان أهل بيته عليهم السلام قد سافروا إلى مدينة لودهيانة، وكان الشهر حزيران/يونيو، وكانت الغرفة حديثة البناء، وكان فيها سرير فاستلقيتُ عليه، وكان حضرته يتمشى فيها. واستيقظتُ فجأة وإذ بحضرته مستلقٍ على الأرض بجانب سريري. فنهضتُ قلقا مذعورا، فسألني عليه السلام بحج مفرط: لماذا نهضتَ يا صاحبي؟ قلتُ: كيف يمكنني أن أنام على السرير وأنت مستلق على الأرض؟ فقال: كنت أحرسك، إذ كان الأطفال يشغبون وكنت أمنعهم حتى لا يزعجوك في نومك." (سيرة المسيح الموعود عليه السلام مولانا عبد الكريم السالكوتي رحمته الله ص ٤١)

لقد كتب المولوي المرحوم حسن علي ما جرى معه وهو مسجل في كتابه "تأييد الحق" حيث يقول: "لقد استغربتُ كثيرا من إكرام الضيوف الذي أبداه حضرة المرزا المحترم. أسجّل هنا أمراً بسيطاً يستطيع به القراء تقدير مدى إكرام حضرته للضيوف. كنتُ مدمنا على عادة سيئة وهي أكل "البان"♦. لقد وجدتُ "البان" في مدينة أمرتسر، ولكن لم أعثر عليه في مدينة "بتاله"، فاضطرت للاكتفاء بمضغ حبات الهيل وأشياء أخرى من هذا القبيل. وصديقي من أمرتسر تصرف تصرفاً غريباً إذ أخبر حضرة

♦ "البان" في الأصل اسم شجرة في الهند. يلفون في ورقها بعض البهارات مثل الهيل وغيره مع حلويات معطرة، ويضعونها في الفم، فتتظف الفم وتعطره، كما تفرّح القلب. (المترجم)

المرزا عن عاداتي السيئة هذه على حين غرةً مني. فأرسل حضرته شخصاً إلى مدينة غورداسبور، وفي اليوم التالي وجدتُ البان موجوداً أمامي حين أنهيتُ العداء، وكان قد أحضر لي من مسافة أبعد من خمسةٍ وعشرين ميلاً تقريباً. " (سيرة حضرة المسيح الموعود عليه السلام للشيخ يعقوب علي عرفاني ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦)

انظروا كيف كان حضرته عليه السلام يهتم بأبسط حاجات الضيوف سواء كانوا من جماعته أو غيرهم. ويستغرب المرء جداً حين يرى كيف كان حضرته عليه السلام يراعي شؤون جميع الضيوف رغم أشغاله الكثيرة. لقد أوحى الله تعالى إليه أكثر من مرة: "يأتون من كل فج عميق"، أي سيأتيك الناس بكثرة هائلة حتى تصبح الطرق التي يأتون بها إليك عميقة غائرة. وقال تعالى أيضاً: "ولا تسأم من الناس" .. أي لا تكتئب ولا تتعب من كثرة زيارات الناس لك.

هناك أحداث كثيرة في حياة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حيث كان الناس يأتونه بكثرة فكان يهتم شخصياً بجوانح الجميع ويؤدي حق ضيافتهم ويلتقي بهم أيضاً بوجه بشوش على الدوام. وكيف لا يفعل ذلك وهي سنة سيده ومطاعه وحببيه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، كما أن الله تعالى قد أكد عليه بذلك. لذا فمن واجبنا اليوم أن نتحلى بهذه الصفة الطيبة.

ينزل الضيوف في بيوت الناس بشكل عام، ومنهم من له قرابة دموية معهم، ومنهم من هم أصدقاؤهم، فيحاولون أداء حق الضيافة لهم. أما في هذه الأيام فسينزل عليهم ضيوف كثيرون يحضرون للاشتراك في الجلسة السنوية التي ستبدأ يوم الجمعة القادمة بإذن الله. إن هذه الجلسة قد بدأها المسيح الموعود عليه السلام بأمر من الله تعالى لأهداف دينية بحتة، وقد دعا للمشاركين فيها بوجه خاص، لذا فإن هؤلاء الضيوف هم ضيوف المسيح الموعود عليه السلام الخصوصيون، وسيأتون لأهداف دينية خالصة - إذ هذا ما نأمل منهم على أية حال - فعلياً أن تؤدي حق ضيافتهم خالصةً لابتغاء مرضاة الله لكونهم إخواننا في الدين. فمن واجبنا جميعاً - ولا سيما المكلفين بشتى الأعمال والمسؤوليات خلال الجلسة - أن تؤدي واجباتنا ومسؤولياتنا بكل جهد وأخلاق سامية وصبر ودعاء. على الجميع أن يهتموا حتى بأبسط حاجات الضيوف، ويرفعوا عنهم جميع أنواع الأذى. ينبغي أن يعامل جميع المسؤولين في نظام الجلسة الضيوف كلهم بحسن الخلق كما يعامل المرء ضيفه هو. ندعو الله تعالى أن يوفق كل واحد من المسؤولين في الجلسة بأداء واجباتهم على أحسن وجه، آمين.

بعد صلاة الجمعة سوف أصلي صلاة الغائب على اثنين من المرحومين. هناك خبرٌ حزينٌ بأن شوهري محمود أحمد شيمه، أحد دعاة

الجماعة القدامى، قد انتقل إلى رحمة الله في المستشفى بربرة بتاريخ ١٤ تموز/ يوليو عن عمر يناهز ٨١ عاما، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

التحق المرحوم بالمدرسة الأحمدية في قاديان عام ١٩٣٩، ثم تخرّج في الجماعة الأحمدية في "أحمد نغر" * عام ١٩٤٩ بشهادة "مولوي فاضل" ♦، ثم نال شهادة "الشاهد" من جامعة المبشرين. ولقد بُعث خارج باكستان لأول مرة إلى سيراليون في غرب إفريقيا. وبعد عودته من هناك شغل مناصب مختلفة في المركز (ربوة). ثم وُفق لخدمة الجماعة في ألمانيا وإندونيسيا بصفة مبلّغ. إن فترة مكوثه وخدمته في إندونيسيا كانت طويلة، إذ امتدت إلى ٣٠ سنة تقريبا. وخدم هناك بصفة رئيس الدعاة أيضا. وبعد التقاعد بشكل رسمي في عام ١٩٩٦ ظل يخدم الجماعة في إندونيسيا. وخدم أيضا لفترة وجيزة مديرا للجماعة الأحمدية في إندونيسيا. وفي عام ٢٠٠٢ عاد إلى ربوة بصورة دائمة وأقام هناك إلى يوم وفاته. وُفق للحج في عام ١٩٦٦. كان رجلا تقيا ورعا مخلصا وفيما ومبلغا فدائيا متحليا بحماس كبير لخدمة الجماعة. كان شخصا بسيطا من حيث الطبع والمزاج، وكان على علاقة إخلاص ووفاء كبيرين بالخلافة. ندعو الله تعالى أن يجعل حسناته سارية في أجياله أيضا. لقد ترك المرحوم

* قرية صغيرة قرب ربوة.

♦ وهي أعلى شهادة في اللغة العربية في باكستان.

وراءه بناتٍ ندعو الله تعالى أن يلهمهن الصبر والسلوان ويوفقهن للتأسي
بأسوته، آمين.

والجنازة الثانية هي للسيدة أمة المؤمن زوجة المرحوم مرزا نعيم أحمد،
وقد توفيت بتاريخ ١٤ تموز/ يوليو عن عمر يناهز ٦٨ عاماً، فإنا لله وإنا
إليه راجعون. كانت حفيدة حضرة مرزا شريف أحمد من ناحية الأب،
وحفيدة حضرة مرزا عزيز أحمد من ناحية الأم، و بنت السيد مرزا ظفر
أحمد والسيدة نصيرة بيغم. وُلدت في عام ١٩٤١، وتزوجت من السيد
مرزا نعيم أحمد وهكذا كانت كَنَّةَ سيدنا المصلح الموعود ﷺ. كانت
صبورة ومخلصة وحليمة الطبع جدا. لقد توفيت أبواها وزوجها في حياتها،
لكنها تحملت كل هذه الصدمات بصبر جميل ولم تتطرق إلى لسانها كلمة
شكوى قط. كانت بشوشة دائما، لم تفارق الابتسامة وجهها. لقد مرت
بفترة مرض مؤلم وطويل جدا، ولكنها تحملت كل ذلك بصبر وثبات،
وكانت تشكر الله وتقول دائما إني بخير بحمد الله، مع أن مرضها حسب
رأي الأطباء كان مؤلما جدا، ولكنها لم تُشعر الآخرين أنها تمر بمعاناة
شديدة. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاتها ويغفر لها، ويثبت أولادها على
الحسنات دائما، آمين. تركت وراءها ثلاثة أبناء. وبعد صلاة الجمعة
سأصلي صلاة الغائب على كِلا المرحومين.

